الثورة التكنولوجية وانعكاساتها على مهن الإعلام والإتصال وعلى التكوين

د. محمد حمدان

معهد الصحافة وعلوم الأخبار - تونس -

يشهد المشهد الإعلامي في مختلف أرجاء المعمورة تحوّلات جذريّة ومتلاحقة نتيجة عدّة عوامل. فالتحوّلات السياسية الدولية أدّت إلى هيمنة الإيديولوجية الليبرالية في العالم مع ما تفرضه هذه الإيديولوجية من تعددية لوسائل الإعلام ومن دخولها في منطق العرض والطلب والمنافسة. كما أنّ التحولات الاقتصادية أدّت إلى سيادة مبدأ التدفق الحرّ للمنتوجات والخدمات بالرغم من مساعي التصدي لهذا الإتّجاه في المجال الإعلامي السمعي - البصري استنادًا إلى مبدأ الاستثناء الثقافي.

وعلى المستوى القانوني، أصبحت التشريعات الوطنية عاجزة على ضمان احتكار الوسائل الإعلامية الرسمية للمشهد الإعلامي في بعض البلدان وتمثّل الثورة التكنولوجية أهم عامل مؤثر في المشهد الإعلامي الدولي. فقد كان لظهور الحاسوب ولاستغلال الأقمار الصناعية تأثيرهما البالغ في تطوير وسائل الإعلام في العالم، وجاءت التكنولوجيا الرقمية إلى جانب شبكة الأنترنات بتحوّلات متعدّدة في المشهد الإعلامي وتبرز هذه التحوّلات بالخصوص على مستوى ظروف ممارسة العمل الإعلامي (I) وهي تبرز أيضا على مستوى مهن الإعلام والاتصال (II) . كما تبرز على مستوى التكوين الإعلامي (III).

I - الانعكاسات على مستوى ظروف العمل الإعلامي :

لقد كان لتكنولوجيات الإعلام والإتصال الحديثة تأثيرها البالغ في ظروف العمل الإعلامي :

- فعلى مستوى البحث عن المعلومات، أصبحت شبكة الأنترنات تمثل مصدرًا أساسيًا وعالميًا لتوفير المعلومات الآنية بالنسبة للصحفيين. وأصبحت الأقمار الصناعية توفّر المعلومة الآنية بالصوت والصورة في حينها من مختلف أرجاء العالم ممّا جعل الوصول إلى المعلومة أيسر.

– وعلى مستوى تغطية الأخبار، أصبحت مواكبة الإعلاميين للأحداث أكثر سهولة بفضل تكنولوجيا الإتصال اللاسلكي.

– وعلى مستوى إنتاج المعلومة وصياغتها، أصبح بإمكان الصحفي تصوير الأحداث والمعالجة الآلية لنصوصه وبثّها بدون الحاجة إلى مساعدة خارجية.

– وعلى مستوى التوزيع والبث للمواد الإعلامية، أصبح بالإمكان طباعة نفس الصحيفة في عدّة أرجاء من المعمورة وأصبح البث المباشر للبرامج الإذاعية والتلفزيونية يوفّر للمشاهد حريّة منقطعة النظير في الوصول إلى المعلومة.

وعمومًا فإنّ التكنولوجيا الحديثة ساهمت بالخصوص في ضمان سرعة أكبر في الوصول إلى المعلومة وفي صياغتها وترويجها، وهي تساهم في تقريب المسافات لتجعل مواكبة الأحداث ممكنة حتى وإن وقعت في أماكن بعيدة من العالم.

II - الانعكاسات على مستوى مهن الإعلام والإتصال :

وكان للثورة التكنولوجية تأثيرها أيضا في مهن الإعلام والإتّصال إذ ساهمت في بروز مهن جديدة على حساب بعض المهن الإعلامية التقليدية.

– فبالنسبة لوكالات الأنباء، أصبحت بعض الوظائف غير ذات جدوى كبيرة إذ أن مصالح التوثيق للمعلومات الدولية لم تعد لها نفس الأهمية بعد توفّر هذه المعلومات بفضل الأنترنات. وأصبحت المادة التي توفّرها هذه الوكالات تخضع لمنافسة كبيرة ممّا جعلها تتحوّل لتقدّم خدمات من نوع جديد تتجاوز البرقيات المكتوبة لتشمل الصور الرقمية والأشرطة المصوّرة والمادة الصوتية.

– وبالنسبة لدور الطباعة والصحافة والنشر، اندثرت العديد من الوظائف التقليدية وظهرت بفضل التكنولوجيا الرقمية مهن جديدة تقوم على التصميم الفني والمعالجة الآلية للنصوص والتصوير الرقمي للمادة المطبوعة. ووفّرت الأنترنات إمكانية نشر كتب وصحف إلكترونية لا تقوم على مادة ورقية.

– وفي المجال السمعي البصري، تدرجت بعض المهن نحو الزوال سواء في مجالات تسجيل الصوت أو التصوير أو تركيب الأفلام لتسمح ببروز مهارات جديدة في إنتاج المادة الصوتية والفلمية عبر تجهيزات جديدة.

– وأسفرت التكنولوجيا الرقمية على الحدّ من الفجوة بين تقنيات المكتوب والتقنيات السمعية – البصرية لتسمح ببروز صحافة إلكترونية تجمع بين الصوت والصورة والنص المكتوب وتخضع لمنطق جديدة يحتاج لخبرات مهنية متميّزة.

– كما أن التكنولوجيا الحديثة ساعدت على نموّ مهن الإتصال ووفّرت لمختلف المنظمات والمؤسسات مهما كان حجمها إمكانية التعريف بأنشطتها من خلال مواقع الأنترنات التي أصبحت تستعملها. وأصبح لهذه الهيئات مهنيون يختصون في تصميم هذه المواقع في اعداد مضامينها وفي تحيينها.

– وبالنسبة لقطاع الإشهار، فقد وفّرت التكنولوجيا الحديثة إمكانيات كبيرة لتنويع المادة الإشهارية ولتعدّد الإختصاصات في هذا المجال.

III - الإنعكاسات على مستوى التكوين الإعلامي والإتّصالي :

على ضوء هذه التحوّلات الجذرية في مهن الإعلام والإتّصال وفي ظروف ممارسة هذه المهن، أصبحت لمؤسسات التكوين المستمرّ أهمية خاصة لتمكين المهنيين من التأقلم مع هذه التحوّلات، وأصبح لزامًا على الصحفي أن يتعلم مهارات حديثة لم يكن مطالبا بها في الماضي.

كما أن مؤسسات التكوين الإعلامي أصبحت مطالبة أكثر من أيّ وقت مضى بمواكبة هذه التحوّلات التكنولوجية حتى يحذق الطالب التعامل مع الأجهزة المعلوماتية وحتى يتعلم الاستغلال الأفضل للأنترنات في الوصول إلى المعلومات وفي التراسل الإلكتروني، وحتى يتدرب الطالب على مختلف البرمجيات الخاصّة بالمعالجة الآلية للنصوص والصور وبالاخراج الإلكتروني للمادة المكتوبة أو السمعية – البصرية وبالتركيب الرقمي للبرامج الإذاعية والتلفزيونية. ولم يعد بإمكان المؤسسات الجامعية تجاهل التكنولوجيات الجديدة التي أصبحت مادة للتدريس وهي أيضا محور رئيسي من محاور البحث الأكاديمي وأصبحت مؤسسات التكوين الإعلامي تدرج في برامجها الدراسية اختصاصات جديدة تتجاوز التقسيم التقليدي بين التكوين في مجال الصحافة المكتوبة والتكوين الإذاعي والتلفزي لتشمل أيضا التكوين في مجال الإعلام الإلكتروني والتكوين في مجال الملتيميديا. وأصبحت كفاءة الطالب المتخرج من هذه المؤسسات التكوينية تقاس بمدي امتلاكه للمهارات التكنولوجية.

IV - التحديات المطروحة :

بالرغم من هذه التحوّلات الهامّة التي تفرضها التكنولوجيا الحديثة على المشهد الإعلامي، فإنّ العمل الإعلامي لا يمكن أن يتغيّر في جوهره. وبالرغم من الإنبهار الذي يمكن أن تثيره التكنولوجيا، فإن هذه الأخيرة تبقى في النهائي مجرّد أدوات عمل بالنسبة للصحفي. وتبقى مهمّة الصحفي بالأساس نقل الأحداث للجمهور بصدق وأمانة. وبالرغم من السرعة التي توفّرها التكنولوجيا في نقل الأحداث فإنّها تطرح على الإعلامي إشكاليات أخلاقية تنتج عن انسياقه للتسرع في تغطية للأخبار بدون التحري اللازم في مصداقيتها.

وبالنسبة لمؤسسات التكوين الإعلامي، فإنّ مواكبتها للتكنولوجيات الحديثة لا تعني تحوّلها إلى مراكز للتدريب المهني لتلقين مهارات للتحكم في تجهيزات تتطور باستمرار.

كما أن وظيفة هذه المؤسسات تبقى في جوهرها مرتكزة على تقنيات الوصول إلى الأخبار وصياغتها وتحليلها مهما تعددت الوسائل، وتبقى هذه المؤسسات الإطار الأمثل لتحديد الموقع الصحيح للتكنولوجيا الحديثة ولتحليل مكانتها الفعلية في تغيير المشهد الإعلامي.